«ووصينا الانسان بوالديه حسنا»

الله سبحانه فى عدة آيات من القرآن الحكيم وصى الانسان بوالديه فقال فى سورة العنكبوت «ووصينا الانسان بوالديه حسناً».

وقال فى سورة لقمان «ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله فى عامين».

وقال فى سورة الأحقاف «ووصينا الانسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً».

وقرن سبحانه أمره بالاحسان إلى الوالدين بأمره بعبادته وحده فقال «وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين احساناً» وقرن أمره بالشكر للوالدين بأمره بالشكر له فقال «أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير».

والرسول صلى الله عليه وسلم فى عدة أحاديث من هديه حذر الانسان من عقوق والديه وعد عقوق الانسان والديه من أكبر الكبائر التى تحبط الأعمال وتذهب بالحسنات فقال صلى الله عليه وسلم «ثلاث لا ينفع معهن عمل. الشرك بالله. وعقوق الوالدين. والفرار يوم الزحف. وقال عليه السلام «من مات على شهادته أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وصلاته الخمس وأدائه زكاة ماله. وصومه رمضان كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا — ونصب أصبعيه ما لم يعق والديه» وقال عليه السلام ألا أنبئكم بأكبر الكبائر. ألا أنبئكم بأكبر الكبائر. ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا بلى يا رسول الله قال الشرك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئاً فجلس وقال ألا وقول الزور وشهادة الزور».

هذه الوصايا الالهية والأحاديث المحمدية ناطقة بأن احسان الانسان لوالديه وبره بهما من أمهات الواجبات التي أمر بها الدين وقرنها بالتوحيد وعبادة الله وحده وأن عقوق الوالدين والاساءة اليهما من أكبر الكبائر التي حرمها الدين وقرنها بالشرك وبالمنكرات الموبقات ذلك لأن الانسان مدين لوالديه بنعم لا تحصى . ولهما عليه حقوق لا يستطيع مهما جاهد أن يفي بها كلها . فهما ربياه صغيراً واحتملا الآلام والمتاعب في رعايته والمحافظة على سلامته وتدبير شئونه والقيام بحاجاته . وأمه احتملت المكاره في حمله وفي وضعه . وقاست الآلام والمتاعب في رضاعه وفطامه وكم سهرت لينام وضحت براحتها ليستريح وكم بكت اذا مرض وفرحت اذا برىء وجملت قلبها له وجهودها لخدمته وأبوه كم سعى وكد ليعوله ويقوم بشئونه وكم حرم نفسه ليعطيه وأحاطه بعنايته ليبلغ أشده .

فجازاتهما على هذا الأساس بالاساءة وعلى هذه النعم بالعقوق والجحود ومقابلة رحمتهما بالقسوة ومحبتهما بالعداوة والبغضاء من أكبر الكبائر التي تستوجب غضب الله وسخطه في الدنيا والآخرة .

ومما يثير الأحزان والآلام ان أكثر الناشئين الآن لا يعطون بما وصاهم به الله ولا يبالون بما حذرهم منه رسوله . ولا يقومون بما تقضي به الفطرة الانسانية من مجازاة الاحسان بالاحسان .

فكثير منهم لا يراعون حقوق الأبوة والأمومة ولا يذكرون للوالدين فضلا ولا لجهداً ولا يبالي الواحد منهم أن يسيء إلى أبيه وأن يهين أمه ولا يعبأ برضاها أو سخطهما بل كثير منهم يتخذ أباه في لهوه هزؤا وسخرية ويتبادل ورفاقه سب الآباء والأمهات وهذا مرض خلقي جعل الأبوة شقاء وجعل الأمومة مذلة . وكم أم باتت باكية ساخطة من سوء معاملة ابنها وقسوته عليها . وكم أب قضى وقته حزيناً مهموماً من عقوق ابنه واساءته اليه .

ألا فليعلم هؤلاء الناشئون أن من أهان والديه فهو مهين لا كرامة له . ومن لا خير فيه لوالديه لاخير فيه لأحد . وأن عقوق الوالدين جزاؤه فى الدنيا والآخرة وعاق والديه لا يوفقه الله إلى خير . ولا يكلل سعيه بنجاح وله فى الآخرة من الله عذاب عظيم لأن الله وصاه فما نفذ وصيته والرسول حذره فما عبأ بتحذيره والله عزيز ذو انتقام ؟

عبد الوهاب معروف
أستاذ الشريعة بكلية الحقوق

الدرجات العلى

ذهب إبراهيم بن أدهم الزاهد المشهور إلى رجل بائع بلح فى البصرة واشترى منه بلحاً فوقعت بلحة من البائع على ما اشتراه زيادة عن حقه وسكت عليها وسافر إلى بيت المقدس ونام تحت قبة الصخرة فى المسجد الأقصى فرآى فى نومه أن ملكين هبطاً من السماء فقال أحدهما للآخر ، من النائم هنا ؟ قال : ألا تعرفه ؟ قال : لا : قال هذا إبراهيم بن أدهم الزاهد المعروف قال له ؛ أهذا الذى اشترى بلحا من تاجر البصرة وقبل بلحة زيادة على حقه فأنزله الله سبحانه درجة من درجاته قال : هوذا ، فقام إبراهيم من النوم فزعا وسافر إلى البصرة واشترى بلحاً من تاجر البلح الذى باعه أول مرة ورد إليه البلحة أى رد الحق وعاد إلى المسجد الأقصى ونام تحت قبة الصخرة فرآى الملكين نازلين وتحدثا فى شأنه فقال أحدهما للاخر هذا إبراهيم بن أدهم الذى أنزله الله درجة لأنه أخذ زيادة عن حقه فلما رد الحق لصاحبه رد الله سبحانه إليه درجته ؛ قال نعم ؛ قال تعالى « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » .